أثر الحروب بين عصرين دراسة ضمن المنهج الإجتماعي

أ.م.د عثمان عبد الحليم جلعوط الراوي – كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة الانبار
Hae85eat@yahoo.com

تحاول هذه الصفحات ان تبحث في نظرة الشاعر للحرب قبل أن تستعر ،ومآسي الشعوب التي ينقلها لنا شعراً أثناءها وبعدها، ووقع الإختيار على العصر الجاهلي وعصرنا الراهن؛ رغم ان الحرب وآثارها واحدة الا ان ويلاتها في عصرنا تشيب لها الولدان .وحاولت ان استشعر كل ذلك وفق المنهج الإجتماعي الذي يبين علاقة الشاعر- منتج النص - بالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه .وتم إختيار نماذج من كلا العصرين تبين الغاية التي من أجلها كتب البحث.

الكلمات الرئيسية: الحروب- جاهلي – حديث – أثر - المنهج الاجتماعي.

The impact of wars between two periods of study within the social curriculum

Abstract

These pages are trying to look at the poet's view of the war before it rages, and the tragedies of the peoples that convey us poetry during and after, and chose the age of ignorance and the present era, although the war and the effects of one, but the ravages of our time to polarize the hearts. Which shows the relationship between the poet - the producer of the text - in the social milieu in which he lives. Selected models of both eras indicate the purpose for which this research was written.

Keywords: Wars pr-Islamic , Modern , Impact , Social Approach

إضاءة في المنهج الاجتماعي

المنهج الاجتماعي إنبثق من المنهج التاريخي() ، فالأدب وفقا للمنهج الإجتماعي يمثل المجتمع متساميا عن الحالة الفردية الضيقة ، فالمجتمع هو من ينتج الأدب الراقي ، والقارئ يبقى متواجدا في فكر الأديب ، ويمثل له الوسيلة والغاية في آن واحد().

ويرى معظم الباحثين في المنهج الاجتماعي ان أقدم تناول مباشر حاول رسم بناء نظري وفلسفي جاد للعلاقة بين الأدب والمجتمع يعود الى المفكر الايطالي فيكوVico ...في كتابه المشهور" مبادئ علم جديد في الطبيعة المشتركة للأمم "سنة 1725م() . وكذلك يعد كتاب "" الأدب في علاقاته بالأنظمة الاجتماعية "" .لمدام دي ستايل(Madame De Stàel) سنة 1800م. من المحاولات الأولية للمنهج الاجتماعي لدراسة الانتاج الادبي ونقده ، فالأدب عندها يعبر عن المجتمع ()، وفضلا عن هذين الكتابين يعد كتاب ""تاريخ الأدب وتحليله "" سنة 1863م . لمؤلفه ""هيبوليت تين ""Hippolyte Taine من أهم الكتب التي تبنت المنهج الاجتماعي في تحليل النصوص الادبية().

ولا يخفى الدور الكبير لكارل ماركس(KARL Marx) بمشاركة فريدريك إنجلز(Friedrich Engles)() ، في تبلور هذا المنهج ، وإن كان محور النظرية هو الاقتصاد السياسي الذي وضعه كارل، فللإقتصاد دور في تباين المجتمع الى طبقات متفاوتة ماديا، لذا فإن الادب تبعا لذلك يكون متأثرا بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تنتج اعمالا مبتكرة جراء الصراع بين الطبقات فأي (تغيير في البناء الاقتصادي والاجتماعي ينتج عنه تغيير في الرؤية لمفهوم الإنسان والمجتمع واللغة والأدب أيضا، مما يؤدي حتما إلى تغيير في الأشكال الأدبية)() .

ولكي نتجنب كثرة التنظير نضع بين يدي القارئ الركائز التي اعتمدها المنهج الاجتماعي في نظرته لمنتج النص ومن أهمها: 1- الأديب جزء من بيئته عن طريق ملاحظته ومعرفته بالواقع الذي يعيش فيه ، ولا يمكن أن يعيش بمعزل عنها.2- ما ينتجه الأديب هو انعكاس للواقع الذي يعيشه. فالأدب المرآة العاكسة للمجتمع والطبقة التي يعيشها الأديب. 3- الاهتمام بالنص ومضمونه .4- الأدب يصور ويناقش الافكار السياسية. 5- على الأديب الالتزام بالقضايا التي يمر بها مجتمعه. فالمنهج الاجتماعي مكمل لما سبقه من مناهج تعمل على نقد العمل الادبي.

اذا فالأدب العربي صور لنا حياة العرب الإجتماعية وعلى مختلف عصوره من خلال النصوص الشعرية والنثرية التي اشتمل عليها.وسأقف في الصفحات القادمة على النصوص الشعرية فقط.

العصر الجاهلي

الرؤية الواقعية التي جسدها الشاعر الجاهلي للحرب بوصفها رؤية منبثقة من عنصر فعال يعيش في المجتمع ويعبر عن ارهاصاته في ظل بيئة قاسية ينساق فيها افراد القبيلة نحو الاشتراك في خوض حروب يكون الشاعر نفسه حاملا سلاحه الى جانب قصيدته، وكثيرا ما تكون القصيدة

أكثر فتكا من السيف، فالبيئة التي عاش فيها الجاهلي هيأت له بناءً على طبيعتها القاسية مناخا خصبا لخوض غمار حروب سببها أخذ الثأر؛ أو الحصول على مراعي لأنعامه للبقاء على قيد الحياة، فضلا عن أسباب أخرى قد تكون مرتبطة بل نتيجة للسببين المذكورين .وفي كلتا الحالتين لابد للعربي الذي يقطن أرضا شحيحة الخيرات أن يتمتع بالقوة والشجاعة وأن يكون مستعدا للقتال في أية لحظة.

واذا اجلنا النظر في قول النابغة():

تَعْدُو الـذِّئَابُ عَلـى مَنْ لَا كِلابَ لَهُ وتتقـي مَرْبَضَ المسـتَثْفِرِ الحـامِي( )

وضعنا النابغة في بيته ازاء معادلة مفادها ان الانسان الذي يقطن تلك البيئة القاسية إما ان يكون قويا يهابه الخصم، واما ان يكون ضعيفا يستحله الآخر ويسلبه ما يملك.

أما زهير فنلمحه يفضي الى معادلة أخرى في بيته():

ومَن لا يَذُدْ عـن حَوْضِهِ، بسِلاحِهِ يُهَدَّمْ ،ومَن لا يَظْلِمِ النّاسَ يُظْلَمِ

وقوله ايضا():

جَرِيءٍ، متَى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلْمِهِ سَرِيعاً، وإلَّا يُبْدَ بـــالظُّلمِ يَظلِمِ

فالمديح يكسبه القوي وان كان ظالما وهذا الأمر لا يمكن تقبله الا في بيئة يؤكل ضعيفها وجبانها .

الغاية التي من أجلها جاءت فكرة البحث لا تريد الخوض في أفكار استهلكت تتعلق بالحرب بذل فيها أصحابها جهدا كبيرا في الحديث عن اسبابها وجمع الشعر الذي يتعلق بها. وانما اردت ان اطرح السؤال الآتي : لماذا الحرب؟ ومن هذا السؤال ستتشضى عشرات الاسئلة التي تتعلق بالكوارث التي تخلفها الحرب.وانا هنا اود أن اسأل :لماذا لا يعيش العالم بسلام ،ويتركوا النزاعات - أجلكم الله - للحيوانات التي فقدت العقل واصبحت اسيرة لغرائزها؟

العصر الجاهلي ومن خلال قراءة كتب الايام وجدناه قد خاض غمار حروب متنوعة جُلها بين القبائل العربية ، أو حتى بين الأقارب .إلا اننا وجدنا ان هناك تحكيما للعقل ودراية بنتائج الحرب المقيتة. وإن ما نقل عن كون مجتمعات العرب في الجاهلية كانت متهمة بكثرة الحروب لسبب ؛ أو بدون سبب . يحتاج الى مراجعة . وسأوضح ذلك في وريقات البحث الآتية .وقبل أن نستعرض الشواهد أريد أن أقف قليلا على ما ذكرت قبل قليل. بأن أغلب الصراعات تقع بين اصحاب الدم الواحد واللغة الواحدة ،وفي عصرنا الحديث يضاف الى ما ذكرنا اصحاب الدين الواحد. أليس هذا بالأمر الغريب؟

لنتجول قليلا بين اشعار القدماء لنلمح صوت العقل قبل أن يعلو صوت السيف ويحدث ما لا يحمد عقباه. لأن (الحرب بين الناس سجال، والرأي فيها أبلغ من القتال)() .

فهذا قيس بن الخطيم يقول():

وكُنْتُ امْرءاً لا أبْعـثُ الحَرْبَ ظالمـاً فلمّا أبَوْا أشْعَلْتُها كُلَّ جانـــبِ

أرِيْتُ بـدفع الحـرب حـتى رأيتهـا علـى الـدفعِ لا تـزداد غـير تقـاربِ( )

فـإنْ لـم يَكُنْ عَنْ غايـةِ المـوْتِ مَدْفَعٌ فـأهْلاً بهـا إنْ لَم تَزَلْ فـي المَرَاحِبِ ( )

الابيات هنا تتحدث عن إيمان الشاعر بسلبيات الحرب أولا ،ودفاعه عن نفسه من سوآتها ثانيا. وبعبارة أخرى حاول (قيس) بكل ما يملك أن ينزع فتيل الدم وأن يبقي الاطفال بين آبائهم وأمهاتهم .وأن يبعد شبح النقص الذي سوف يطال الابناء، باليتم والامهات بالثكل .وما يتبع ذلك من تشتت للأسر وهتك للسبايا بعد أن كُنَّ حرائر. لكن (قيس) أيقن أنه حاول بما يستطيع أن ينزع فتيل الدمار إلا أن الجانب الآخر قد حسم أمره وشرع بدق الطبول. وهنا لا مفر من الترحيب والاستعداد للموت.

ومثله نلمح عبيد بن الابرص():

وإنّي لأُطْفِي الحـربَ بعـد شُبُوبِهـا وقـد أُوْقِـدَتْ للغَـيِّ فـي كـلِّ مَوْقِـدِ( )

فَأَوْقَدْتُهـا للظّالِـم المُصْطِلـي بِـهَـا إِذَا لـم يَـزَعْـهُ رَأْيُـهُ عـن تَـرَدُّدِ( )

ويشاطرهما الرأي حاجب بن زرارة في بيته():

ولكنـني لا أَبْعَثُ الحـرب ظالمـا ولـو هِجتُهـا لـم أُلْفَ شـحمةَ آكِلِ

والفارس عروة بن الورد ينضم الى حلف شعراء السلام قائلا()

عَلَيْكَ السِّلْمُ فَاسْلَمْها إذَا مَا آوَاكَ لَهُ مَبِيـتٌ أَوْ مَقِيـلُ( )

ونجد في قول بلعاء بن قيس الكناني النصح لعدوه بقبول السلم ونبذ الحرب إذ قال():

بـرأيٍّ أصِيْلٍ أو يَؤولُ إلـى الحِلْمِ دعـوتُ أبـا ليلـى إلـى السِّلْمِ كـي يـرى

فقلــتُ لــهُ مهْلاً هَلُمَّ إلــى السِّلْمِ دعــاني أشــبُّ الحــرْبَ بيــني وبينــهُ

أما قيس بن الخطيم ،فنجده يغضب على بني عوف الذين اطاعوا أميرهم الذي اختار الحرب ،فيقول :ديوان قيس بن الخطيم():

أطاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أمــيراً نهــاهُمُ عَنِ السِّلْمِ حــتى كــان أوَّلَ واجــبِ( )

أوَيْتُ لِعَوْفٍ إذْ تقــولُ نســاؤهُمْ وَيَرْمِينَ دَفْعــاً: لَيْتَنــا لَمْ نُحــارِبِ

الشاعر الجاهلي لمسناه في الابيات التي قرضها لنا يعمل جاهدا للحث على السلام فهو يدرك ما تجره الحرب من ويلات .

وسنتعرف من خلال شعراء آخرين على آلام الحرب التي تلحق بكلا الفريقين المتناحرين.

فهذا الاعشى يخبرنا بأن الحرب ():

تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيــهِ وَتُلْوِي بِلَبُونِ المِعْزَابَةِ المِعْزَالِ( )

ثُمَّ دَانَتْ، بَعْدُ الرَّبَابِ وَكَانَتْ كَعَذَابٍ، عُقُوبَةُ الأقْوَالِ

عَنْ تَمَنٍّ وَطُولِ حَبْسٍ وَتَجْمِيـ ـــــعِ شَتَاتٍ، وَرِحْلَةٍ وَاحْتِمَالِ

فالحرب هي ذلك الكائن الذي يحركه الشيطان ليخطف الأرواح ويقطف ثمار السعادة ويحول الحياة الى سواد تتعالى معه صرخات الفقد ونوح الأحباب على الاحباب. وتأثيرها - أي الحرب – تعدى البشر الى الحيوان الذي يفقد الأمان ان انفرد عن القطيع إلا ان هول الموقف لا يبقي شيئا في مكانه ،فالتشتت يصيب الجميع بلا وعي أو دراية .

ونترك الأعشى لنذهب الى المهلهل الذي سيخبرنا بابياته عن اخيه المقتول بكلمات واضحة تفصح عن مدى الحزن الذي يشعر به():

كُلَيْبُ لا خَيْرَ فــي الــدُّنيا ومَنْ فِيْهــا إذْ أنــتَ خَلَّيْتَهــا فيمَن يُخَلِّيهــا

كُلَيْبُ أيُّ فَتَى عِزٍ ومَكْرُمَةٍ تحتَ السَّقائِفِ إذِ يَعْــــلوكَ سافِيها( )

نَعَى النُّعــاةُ كُليبــاً لــي فقلــتُ لَهُمْ: مالَتْ بِنــا الأرضُ أو زالَتْ رَواسِيها؟

ليــتَ السَّماءَ علــى مَنْ تَحْتَهــا وَقَعَتْ وانْشَقَّتِ الأرضُ فانْجابَتْ بِمَنْ فِيهــا( )

أَضْحَتْ مَنــــازِلُ بالسُّلانِ قَد دَرَسَتْ تَبْكــي كُليبــاً، ولــم تَفْزَعْ أقاصِيها

نلمح افصاح المهلهل عن حزنه ولسان حاله كحال الكثير ممن فقد عزيزا على قلبه ،فالألفاظ واضحة واللوعة واحدة لكل فاقد .فالشاعر الجاهلي صور لنا مجتمعه اصدق تصوير فقد (كان يتخذ أداة للتعبير عن مجتمعه البدوي الذي كان يمثل آنذاك القبيلة بما لديها من عادات وتقاليد وقيم خلقية واجتماعية)()

نترك المهلهل في حزنه لنقف مع دريد بن الصمة في رثاءه لأخيه ومدى الفجيعة التي حلت به فيقول():

تقــولُ ألا تَبْكــي أخــاكَ وقــد أَرَى مكــانَ البُكــا لكِنْ بُنِيْتُ علــى الصَّبْرِ

لِمَقْتَلِ عبــدِ الله والهالــكِ الــذي علــى الشَّرَفِ الأعْلَى قَتِيـلِ أَبِي بَكْرِ( )

ونلمح صوتا يعلو من عبد الله بن عنمة يذم الحرب ويدعوهم لأخذ العبر من آلام من سبق فيذكرهم قائلا():

ولا تكــــونَنْ كمُجْرَى دَاحِسٍ لكُمْ فــي غَطَفــانَ غــداة الشِّعْبِ عُرْقُوبُ

وهذا عامر بن الطفيل يصوغ لنا حِكَماً عندما قال: ديوان عامر بن الطفيل():

لَقَدْ كـــانَ فِيمَا خَلا عِبْـــرَةَ ،وبـــــــالعِلْمِ يَعْتَبِرُ الْمُبصِرُ

يُلامُ المُفَرِّطُ فـــــي أمْرِهِ إذا صَرَّحَ الأمْرُ للمُعْذِرِ( )

ويستمر صوت العقل عند بشر بن ابي خازم عاليا في تبليغه عن مذمة الحرب():

أَلا أَبْلِغْ بَني سَعْدٍ رَسُولاً ومَوْلَاهُمْ، فَقَدْ حُلِبَتْ صُرَامُ( )

نَسُومُكُمُ الرَّشَادَ، وَنَحْنُ قَوْمٌ لِتــارِكِ وُدِّنــا فــي الحَرْبِ ذامُ( )

"فالصرام" لا يخرج إلا بجهد لانه آخر اللبن ، وكذلك الحرب التي لا تنتج فائدة ، وانما نتاجها السلاح والدماء.

وينضم الاعشى ايضا الى بشر في قوله ():

أَبَــا ثُــبَــيْــتٍ! أَمَــا تَــنــفَــكُّ تــأتَــكِــلُ؟()

أَبْـلِــغْ يَـزِيــدَ بَنِــي شَيْبَــانَ مَــألُــكَــةً

وَلَـسْـتَ ضَـائِــرَهَـا مَــا أَطَّـتِ الإبِـلُ()

ألَـسْـتَ مُـنْـتَـهِـيـاً عَـنْ نَـحْـتِ أَثْـلَـتِـنـا

تُــغْــرِي بِـنَــا رَهْـطَ مَسعُـودٍ وَإِخْـوَتِهِ عِـنـدَ الـلِّـقَـاءِ فـتُــرْدِي، ثُــمَّ تَـعـتَـزِلُ

وأبو تمام في حماسته يضعنا إزاء أبيات قالها بعض بني أَسد():

كــلا أَخَوَيْنَا إِنْ يُرَعْ يَدْعُ قومَهُ ذَوي جامِلٍ دَثْرٍ وَجمْعٍ عَرَمْرَمِ( )

كــلا أَخَوَيْنَا ذُو رجــالٍ كَأَنَّهُمْ أسـودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغلـبَ ضَيْغَمِ( )

فمــا الرشــدُ فِي أَنْ تَشْتَروا بنعيمِكُمْ بئيســاً وَلَا أَنْ تشْرَبُوا المَاءَ بِالــدَّمِ

ففي البيت الأخير يضعنا الشاعر إزاء تجارة خاسرة ،فما الجدوى من التحشيد واستعراض القوة ... إذا كان نهاية الأمر الزج بهذه الجموع من أجل حرب لا طائل منها سوى الدم ؟فالشاعر ينبه قومه على الخطأ في تبديل نعيمهم بالجحيم.

نأتي في ما تبقى من صفحات خصصت للعصر الجاهلي لنتذوق طعم الحرب المر الذي تذوقته ألسنة الشعراء والفرسان ولفظته قرائحهم على أوراق قصائدهم فهذا قيس بن الاسلت يقول():

مـــن يَذُقِ الحـــرْب يَجِدْ طعمهـــا مُرَّاً وتحبســـــه بِجَعْجـــاعِ( )

ويتفق معه على طعمها المر حسان بن نُشْبَة العدَوي في قوله():

أَمَرَّ علـــى أفْوَاهِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مطاعِمُنـــا يَمْجُجْنَ صَاباً وعَلْقَمَا( )

واذا كان طعم الحرب مرا لا يطاق ، فهي أيضا كالرحى ، ولكنها هنا تطحن الرجال وتنتج الدماء، وصوتها مخيف تسمعه من بعيد .

يقول الحارث بن عباد():

طَوْراً نُدِيرُ رَحَانَا ثُمَّ نَطْحَنُهُمْ طَحْنـــاً وَطَوراً نُلَاقِيهِمْ فَنَجْتَلِدُ

وفي المعنى نفسه قال عمرو بن كلثوم():

مَتَى نَنْقُلُ إلـــى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فـــي اللِّقَاءِ لهـــا طَحِينَا

يكـــونُ ثِفَالُهـــا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلُهْوَتُهـــــا قُضَاعَةَ أجْمَعِينَا

والى جانب المرارة والطحن يضيف الشعراء صفة أخرى للحرب " شمرت عن ساقها "أي: شدتها وهولها .كما في قول قيس بن زهير():

فَإنْ شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهـــاً رَبِيـــعٌ وَلَمْ يَســـامُوا

وكذلك في قول الاعشى:

جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّي، بِلا نَزَقٍ، وَلَا إذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ

وله ايضا():

إنِّي رَأَيْتُ الحَرْبَ إنْ شَمَّرَتْ دَارَتْ بِكَ الحَرْبُ مَعَ الـــدَائِرِ( )

وقول سعد بن مالك():

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ( )

ونلمح صفة أخرى للحرب تتمثل بالسم القاتل يقول الاعشى في بيان ذلك():

وَهُمْ إذا الحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذَها مِثْلَ اللُّيُوثِ وَسُمٍّ عَاتَقٍ نَقَعَا

وبشر بن عمرو يصفها قائلا():

وصـــاحِبَيْهِ فـــلَا يَنْعَمْ صَباحُهُما إذْ فُرَّتِ الحـربُ عـن أَنيابِهـا الـرُّوقِ

وهذا المزرد الغطفاني يضيف صفة أخرى للحرب تتمثل بإظهارها لأنيابها دلالة على شرها إذ قال ():

فمــن يــكُ مِعــزال اليــدين، مكانُه إذا كشَرتْ عـن نابهـا الحـربُ خامـلُ

ونجد أوصافا متفرقة للحرب عند شعراء آخرين .فبشامه بن الغدير يصفها بالطعام غير المستساغ في قوله ():

خِزْيُ الحيـــاةِ وحَرْبُ الصَّدِيقِ وكـــلٌّ أَرَاهُ طَعَامـــاً وَبِيـــلَا( )

وزهير بن ابي سُلمى يصفها بالطعام الذي لا يعود بالفائدة على آكله فيقول ():

فقَضَّوا مَنايـا بَينَهـم، ثـمَّ أصْدَرُوا إلـــى كَلأٍ، مُســـتَوبَلٍ، مُتـــوَخَّمِ( )

أما الحارث بن عباد فيصف من دخلها - أي الحرب – بكثرة الأعباء المترتبة من جراء القتال فقال ():

أَصْبَحَتْ وائِلٌ تَعِجُّ مِنَ الحَرْ بِ عَجِيْجَ الجِمَالِ بالاثْقَالِ

وابو قيس بن الاسلت يصفها بالغول قائلا():

أنْكرتِهِ حيـــــــن توسَّمْتِه والحـــربُ غـــولٌ ذات أوجـــاعِ( )

ووصفها أحد شعراء الحماسة بأنها وباء يسري الى الجميع ():

والحـربُ يَلْحَقُ فِيهـا الكـارِهون كمـا تَدْنُو الصِّحاحُ إلـى الجَرْبى فَتُعْدِيَها

وأورد زهير صفات ذميمة عن الحرب في قوله():

ومـا الحـربُ إلاَّ مـا عَلِمْتُمْ وذُقْتـمُ ومـا هُوَ عَنْهـا بالحَدِيثِ المـرجَّمِ( )

متَى تَبعَثُوهـا تَبعَثُوهـا، ذَمِيمـةً وتَضْرَ، إذا ضَرَّيتُموها، فتَضْرَمِ

فتَعـرُكُكُمُ عَرْكَ الرَّحـا بِثفالِهـا وتَلقَحْ كِشـافاً، ثُمَّ تُنتَجْ، فتُتْئـمِ( )

فتُنتَجْ لكـم غِلمـانَ أشـأمَ، كلُّهُمْ كـأحمَرِ عـادٍ، ثـمَّ تُرضِعْ فتَفطِمِ( )

أما أمرؤ القيس ، فذكر صفات للحرب تمثل بها من جاء بعده عند نزول الفتن فقال():

الحـربُ أولُ مـا تكـون فَتيـةً تَسْعَى بزينتِهـا لكـلِّ جَهـولِ

حـتى إذا اسْتَعَرَتْ وشَبَّ ضِرامُها عَادَتْ عجـوزاً غـيرِ ذاتِ خَلِيـلِ

شَمْطاءَ جَزَّتْ رأْسَها وتنكَّرتْ مَكْرُوهـةً للشَّمِّ والتقبيـلِ

نلحظ من خلال النصوص الشعرية التي ضمها القسم المخصص للعصر الجاهلي بأن الحرب مذمومة من لدن الجميع ، وهذا ليس بالأمر الغريب ، فالحرب آفة عمياء لا تفرق بين صغير أو كبير بين فارس متمرس ، وبين أعزل مسالم. لكن الأمر يأخذ أهمية كبيرة عن خطر الحروب عندما قرأنا أن الفرسان هم أول من ذموها ، وفي ذلك دليل قاطع على بشاعتها ، وما تخلفه من سلبيات تبقى في ذاكرة من عاشها وسلم منها .

فهذا عنترة الفارس الذي طالما تفاخر بسيفه وجواده يقول واصفا الحرب بأن (أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى)() والعرب تقول :(الحرب غشوم ، لأنها تنال غير الجاني)()

وقال النابغة الذبياني:()

لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظْــلامُ إظْــلامُ تَبْدُو كواكبُه والشـــمسُ طالعــةٌ

فقوله "تبدو كواكبه " يضرب مثلا لشدة اليوم وهوله.كما يقال :أريته الكواكب نهارا.ففي هذا اليوم حتى أظلام الليل لا يشبه إظلام هذا النهار .

ومنه قول طرفة بن العبد:()

وتُرِيــــه النَّجْمَ يَجــــري بـــالظُّهُرْ .....

يرى النجم ظهرا، فهذا مثل يضرب حتى أيامنا هذه.

ونختم حديثنا عن الحرب في العصر الجاهلي بشاعرين أحدهما المهلهل الذي وضح لنا ما يتجرعه الأنسان من الألم إذا فقد عزيزا - فالحرب آفة تأكل الأعزاء على قلوبنا-.فقال في رثاء أخيه():

أرى طــولَ الحيــاةِ وقــد تَوَلَّى اكمــا قــد يُسْلَبُ الشَّيءُ المُعــارُ

كــأنِّي ،إذْ نَعَى النَّاعي كُليبــاً تَطــايرَ بيــنَ جَنْبَيَّ الشَّرارُ

فَدُرْتُ وقــد عَشَا بَصَري عليــهِ كمــا دارَتْ بِشــارِبِها العُقــارُ( )

ســألتُ الحــيَّ: أيــنَ دَفَنْتمــوهُ؟ فقــالوا لــي: بســفحِ الحــيِّ دارُ( )

فسِرْتُ إليــهِ مــن بَلــدي حَثِيثــاً وطــارَ النَّومُ وامْتَنَعَ القَرارُ( )

وحــادَتْ نــاقَتي عــن ظِلِّ قــبرٍ ثَوَى فيــهِ المكــارِمُ والفَخــارُ( )

لـــدَى أوطـــانِ أَرْوَعَ لـــم يَشِنْهُ ولـم يَحْدُثْ لـهُ فـي النَّاس عـارُ( )

أما عبيد بن الأبرص فبين لنا أن الحرب تعني هلاك الاقوام وتجلب الدمار والتشريد إذ قال():

ضِراسُ الحـرُوبِ والمَنايـا العواقِبُ( ) فـأذْهَبَهُم مـا أذهـبَ النَّاسَ قَبْلَهـم

العصر الحديث "الربيع العربي":

انتهينا من حروب الجاهلية ، وربما نستميحهم الأعذار ، فهم يقاتلون من أجل البقاء في صحراء قاسية لم تَجُد عليهم إلا بالنزر القليل من مسببات العيش – فالخيرات والخيارات أمامهم محدودة - أو يعيشون في مدنية بسيطة تحاول أن تردع من يتطاول عليها . ناهيك عن بعض الاسباب التي تتعلق بنصرة القبيلة و التجحفل تحت غطاء القرابة والدم.

نعم من وجهة نظري ومن خلال الإطلاع على النتاج الشعري الجاهلي بدا جليا أنهم لم يحبوا الحرب من أجل الحرب ، وأنما كانوا مرغمين عليها بسبب بيئتهم القاسية وتقاليدهم القبلية ، وبالرغم من كونهم قد تعصبوا لتلك التقاليد الاجتماعية إلا أن مبادرات السلم كانت كثيرة . تفوه بها رؤساء قبائلهم وحكماؤهم وفرسانهم وشعراؤهم. لكن من منا يمنح العذر لأناس يعيشون في القرن الحادي والعشرين . بعد أن مرت على أمة العرب الويلات من بعد الويلات. وسأتوقف في بحثي هذا للحديث عن " الربيع العربي " تاركا ويلات الاستعمار وقضية فلسطين وغيرها من النزاعات الداخلية والحروب الخارجية فقد كتب فيها الكثير من البحوث والدراسات.

أعود الى " الجحيم العربي " عفوا " الربيع العربي " وأتساءل : ألم يكف أمة العرب شاهدا " الربيع التونسي والليبي والمصري "؟ وإن كان الربيع الليبي هو الأسوء من بينها ،وما زال شعبنا في ليبيا يحترق كل ربيع. لماذا لم يقرر العرب ولو بعد حين بضرورة إنتهاء الربيع فورا ؟ فما الجدوى من استمراره ؟ ليطال سوريا والعراق واليمن . أين ارباب العلم ؟ أين الساسة والحكماء ؟ نار مستعرة تسير بشكل مخيف لتحرق كل شيء تمر فيه.

الا يحق لي أن اتساءل يا أمة العرب : لم كل هذا قد حل بكم ؟ وقبل أن أجيب عن هذا التساؤل .اتجول معكم في المشاهد " المآسي " التي خلفها الربيع ، والتي لا يمكن وصفها الا من خلال شاعر أبصر وأحس بهول تلك المشاهد .لذا استشهدت لعدد من شعراء شبكة (الانترنيت) ممن عايش قسوة الربيع .

عندما كنا صغارا كان كل فصل من فصول السنة يعني لنا مشهدا جديدا وحياة جميلة على الرغم من تكرار الفصول. لكن عندما نترك المنزل الذي يعطينا الأمن والحماية يتغير كل شيء ،فنصبح فريسة سهلة لكل خطر وإن كان سابقا لا يعني لنا شيئا. فالشتاء أصبح وحشا مرعبا يرمي

علينا بزمهريره القاتل ،ولذا اصبح الشتاء مخيفا يأتينا بالموت كما هو الربيع الذي تسبب بتشريدنا.
لنقف قليلا مع أحد الشعراء الذي صور لنا ما يفعله الشتاء العربي():

أتـــدري كيـــف قـــابلني الشـــتاء وكيـــف يكـــون فيـــه الإبتـــلاء؟

وكيـــف الـــبرد يفعـــل بالثنايـــا إذا اصـــطكت وجاوبهـــا الفضـــاء

وكيـف نبيـت فيـه علـى فـراش يجـور عليـه فـي الليـل الغطـاء

أتـدري كيـف جـارك يـا مصـلي يهـــدده مـــن الفقـــر العنـــاء

وكيـــف يـــداه ترتجفـــان بؤســـاً وتصـــدمه المذلـــة والشـــقاء

يصـــب الـــزمهرير عليـــه ثلجـــاً فتجمـــد فـــي الشـــرايين الـــدماء

من جرب فصل الشتاء في العراء فهو سيكره بياض الثلج الذي يحتفل بسقوطه الجميع وعلى أختلاف أعمارهم ، فالثلج فرصة للعب والمرح وصنع التماثيل وشرب الشاي والقهوة ، وإشعال النار ورؤية التلفاز أو الاستمتاع بشرب سيكارة بالقرب من مصدر تدفئة ،وقراءة أي شي يهتم به الشخص .ووووو ...الخ.

الى هنا فأنا لا أجد سوى المتعة ببرد الشتاء .لكن هذه المتعة لابد لها من استعداد .فالشاعر يكمل تصويره باستعداد بعض الحيوانات لزمهرير الشتاء بـ " عهن " أو " مساكن " تقيها البرد . لكن من يحمي طفلا انقطعت به السبل ؟ فأطفالنا نهرع بهم الى المشفى إذا تعرضوا لأبسط عارض صحي ،مع توفر كل أسباب الراحة والدفء. يكمل الشاعر قائلا():

خـــراف الأرض يكســـوهن عِهـــنٌ وترفـــل تحتـــه نعـــمٌ وشـــاء

وللنمـــل المســـاكن حيـــن يـــأتي عليـــه الـــبرد أو جُنّ المســـاء

وهـــذا الطفـــل يـــدور بغـــير دار وفـــراش خيمتـــه وحـــل ومـــاء

يجـــوب الأرض مـــن حـــي لحـــي ولا أرض تقيـــه ولا ســـماء

المأساة هنا مفجعة ، وأنا اشاطر الشاعر رأيه الذي يضعنا - في أحد أبياته - إزاء مقارنة جناسية " ادفئوني " و "ادفنوني " أولها : سهل ممتنع ،وهو توفير الدفء . وثانيها: صعب يسهل تطبيقه، وهو الموت . فكم من طفل وامرأة وكبير سن فارقوا الحياة ليرتاحوا من هول الشتاء. يقول الشاعر():

فـــإن حـــل الشـــتاء فـــأدفئوني أو ادفنونـــي فإنهمـــا ســـواء

أما البيت الآتي فلن اقف عليه سوى بالقول : إنقراض الإنسانية عند بني الانسان().

أترونـــني وبـــي عـــوز وضـــيق ولا تحنـــوا فمـــا هـــذا الجفـــاء

فالشاعر في ابياته التي جسد فيها قساوة الشتاء تسامى فيها عن روح الذاتية الضيقة ،وغادرها صوب أنّات مجتمعه ، وكلما ابتعد الأديب عن التعبير عن نفسه أدرك انعكاس المجتمع في نصه،(فحقيقة المشكلة التي يتوهما المرء في نفسه إنما هي إنعكاس لذاته في المجتمع أو إنعكاس المجتمع في ذاته)() .

لا ابعد عن الحقيقة عندما اقول: برد الشتاء بالقرب من والد يحمي طفله بجسده ، وأم حنون تدفيء طفلها بجسدها - وان كان الجميع في عراء لا يرحم - أهون من تعقد المشهد بموت الأب والأم ،وبقاء الطفل فريسة للبرد ووحوش الإنس. يقول الشاعر السعودي عمر بن محمد حريشي():

طفـــلٌ يعـــاني قســـوة الحرمـــانِ يشـــكو الـــذي يلقـــاه للـــرحمنِ

قـــد مـــات والـــده وماتـــت أمـــه والأهـــل قـــد صـــاروا بـــلا أوطـــانِ

أمســـى يتيمـــاً تائهـــاً ومشـــرداً طفـــلٌ بـــلا دارٍ ولا عنـــوانِ

يمشـــي علـــى ذاك الرصـــيف مـــرددا يـــا موطـــني عـــذراً لكـــل هـــوانِ

طفـــلٌ يتيـــمٌ والحيـــاة تذيقـــه كأســـاً مـــن الآلام والأحـــزانِ

وأتـــى الشـــتاء علـــى الصـــغير بقســـوةٍ بـــردٌ وجـــوعٌ فيـــه يجتمعـــانِ

الجـــوع يقرصـــه بكـــل قســـاوةٍ والـــبرد آتٍ مثلمـــا العـــدوانِ

متوســـداً صـــندوقه فـــي رقـــةٍ فلعلـــه يعطيـــه بعـــض حنـــانِ

الى أن ينتهي الى ما انتهى اليه شاعرنا في النص الآنف الذكر():

المـــوت داعـــب روحـــه بمحبـــةٍ هيـــا إلـــى روضٍ مـــن الأفنـــانِ

قـم يـا صـغيري نحـو أمـك إنهـا تلقـــى النعيـــم بجنـــة الرضـــوانِ

قـــم نحـــو والـــدك الشـــهيد فإنـــه قـــرب النـــبي وأصـــدق الخـــلانِ

مـات الصـغير مـن الشـتاء وبـرده مـــن جوعـــه مـــن قســـوة الحرمـــانِ

مـــات الصـــغير ولا عـــزاء لأمـــةٍ رضـــيت بكـــأس الـــذل والخســـرانِ

النهاية نفسها أعني " الموت نفسه " اصبح راحة وحلاً لهذا الطفل وغيره من الأطفال في ظل أمة عربية اغلقت فكرها ، وفتحت أبوابها لتصبح معقلا للتجارب الخارجية المدمرة .

برد وجوع وحرمان ودم يسيل ليعلن فقدان الأحبة ،وكرامة انتهت عندما نغادر باب المنزل ،واعراض انتهكت إما لإشباع شهوة حيوانية لا تأبه بأهوال الموقف ،أو لحاجة وإشباع بطن انقطعت عنها السبل.

يقول شاعر آخر وهو الدكتور محمد عبد الرحمن المقرن الذي يطلق تساؤلات طفل يتحدث الى أقرانه الهانئين بنعيم العيش():

يـــا أيهـــا الأطفـــال إنـــي مثلكـــم طفـــل لأحلامـــي ســـقيتُ وُرودي

هـل عنـدكم حلـوى؟ فـإني لـم أجِدْ إلا رغيفًا نصـــفُه للـــدُّودِ

هـل تضـحكون وتلعبـون؟! فـإنني أقضـــي النهـــارَ بحَيرتي وشُرودي

يومـــا رأيـــتُ أبـــي يمـــوتُ وجـــدَّتي تبكـي وتحضـنه: "بـنيَّ" ، "وحيـدي

الى أن يقول():

ورأيـــتُ أمـــي عنـــدما ذهبـــوا بهـــا تـــرنو إلـــيَّ بطُهرهـــا المـــوؤدِ

الكـــلُّ مِن حولـــي يُروِّعُ قلبُه فـــي والـــدٍ وحليلـــةٍ ووليـــدِ

ثم يضعنا الشاعر إزاء مشهد مفجع تتحول فيه المنازل الى قبور ،فيتحول الدار بلحظات من دار للدنيا ونعيمها الى قبر نتوارى فيه():

ســحقتْ بيــوت الأبريــاء فأينهــا ؟ مــن روعــة التصــميم والتشــييد

صــارت بيــوتُ الآمنيــن قبــورَهم جثــثٌ وأنقــاضٌ وألــفُ فقيــد

منتج هذا النص صور لنا بعض الهموم التي يعيشها المجتمع ، وقرر أن لا ينوء بنفسه فترك الانعزال ،وبدأ يلاحظ الهموم المحيطة به (لان المشكلة الفردية لا يمكن عزلها عن الواقع الاجتماعي أو عن حدود الزمان والمكان)() فالظروف الاجتماعية لها دورها الفاعل في انتاج النص (باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي لهذه الاعمال الابداعية والفنية)() .

ولنمضي مع نزار قباني الذي اختصر لي الكثير من الكلام عندما قال():

مــاذا ســأقرأُ مــن شــعري ومــن أدبــي؟ حوافــرُ الخيــلِ داســت عنــدنا الأدبــا

وحاصــرتنا. . وآذتنــا. . فــلا قلــمٌ قــالَ الحقيقــةَ إلا اغتيــلَ أو صُــلبا

أقول :في بلداننا العربية الإسلامية إعمل أي شيء يخالف الشريعة – وهذا من تصوير واقعنا ، وليس تقليلا من حرمة التجاوز على تعاليم شريعتنا المقدسة - لكن إياك إن تفكر في نقد الحاكم انطلاقا من المطالبة بأبسط مطالب الحياة أو – لا سامح الله – ان تطالب بالرفاهية. فسينتهي بك المطاف حتما بغياهب سجن أو توارى تحت الثرى .

اذن ما الجدوى من ربيع نحن نعلم بنتائجه السوداء مسبقا ،فالتاريخ سطر لنا ابشع المشاهد عن جور بعض حكام العرب وتعاملهم بكل وحشية إزاء أي تهديد ولو بكلمة تصدر من هنا او هناك، فكيف بثورة ترمي الى التغيير. حتما سيرينا الحاكم جبروته وظلمه بأبشع الصور ،وفعلا رأينا منهم ما لا يمكن تصوره . وأضيف ايضا سؤالا لا أدافع فيه عن الحكام وأفعالهم .هل فعلا كان الهدف من الربيع العربي هو التغيير نحو الأفضل؟ قد أكون مجانبا للصواب في نظر البعض أن قلت لا يوجد أي تغيير ، فالمسألة لا تتجاوز سوى تغيير وجه بآخر .وحجتي في ذلك أن بلدان العرب مسيرة من جهات خارجية لا يمكن لها أن تسير كما يحلو لها وأنى تريد . فالمسألة لا تعدو سوى محاولة خبيثة اثبتت نجاحها في تشريد الملايين وذبحهم وهدم منازلهم على رؤوسهم ، وانتشار الأوبئة وتفكيك الأسر اخلاقيا .

من ذاق طعم النزوح وترك داره سائرا نحو مستقبل مجهول أيقن أن كل ما جرى مجرد خدعة انطالت على الجميع حتى على من روج لها على اختلاف نياتهم التي ارادت منفعة دنيوية، أو كانت ترمي فعلا الى التغيير. لكن حشود الابرياء التي تجحفلت خلفهم وهم ممن لا حول لهم ولا قوة وجدوا انفسهم قد جردوا حتى من منازلهم ، وارغموا على النزوح للحفاظ على ارواحهم .

ويطالعنا ايليا ابو ماضي بقوله():

أرض آبائنــا عليــك ســلام وســقى اللّه أنفــس الآبــاء

مــا هجرنــاك إذ هجرنــاك طوعــا لا تظنّي العقــوق فــي الأبنــاء

يســـأم الخلـــد والحيـــاة نعيـــم أفترضـــى الخلـــود فـــي البأســـاء؟

هـــذه أرضـــنا بلاقـــع، تمشـــي فوقهـــا كـــلّ عاصـــف هوجـــاء

الكل نزح مرغما، فمجرد التفكير بالبقاء هو موت حتمي سينتهي برصاصة أو بمقذوفات طائرة . . .الخ. فضلا عن انعدام تام للخدمات .أي مستقبل ينتظر من رضي بالبقاء ؟ مدارس مغلقة ، ومشافي هجرها الاطباء والدواء . فالخوف يطرق القلوب قبل الابواب في كل لحظة ،والكل يتهافت للرحيل مودعا كل شي .

وفي قصيدة اخرى يصور لنا تلاشي الاحلام قائلا():

أرأيت أحلام الطفـــــــــــولة تختفي خلف التخومْ؟

أم أبصَرتْ عيناك أشـــــــــــباحَ الكهولةِ في الغيومْ؟

أم خفتِ أن يأتي الدُّجى الجـــــــاني ولا تأتي النجومْ؟

فعلا تتوقف الاحلام في زمن يتلاشى فيه الأمل ، فكأن الزمن قد توقف ،والكل يبحث عن النجاة .

والحقيقة الوحيدة التي ايقناها هي: حملنا ما نسطيع حمله من الأمتعة التي يسهل حملها تاركين خلفنا كل شيء ما لا نستطيع حمله ... منزلنا أحلامنا ذكرياتنا سائرين نحو المجهول .شعور يدمي القلوب المتحجرة ويجعلها تنبجس بالرحمة على ما حلّ بحشود الابرياء.

وفي نص آخر حاول من خلاله يوسف كبو تصوير الحشود السائرة الباحثة عن الأمان في مدينة انقض عليها ارباب الاصلاح الربيعي بالخراب، فيقول():

أبْصرتُ برطلة()
وقد خرجت
من براثن انسان مستذأب

تقصر مراثي الفواجع عن وصفها

كأنها أم ثكلى

بقدمين واهنتين وكتفين مخلوعين

وقلب يجهش اسى في تجاعيد الاشياء
لاتدرك جهات تفر اليها ، تسأل الله

تكتم العبرة ، ترنو في وجوم

الى خراب كامل التكوين

وخلاء موحشٌ الارجاء

بفضل التطور الحاصل في نقل الاخبار اطلع الناس على بعض المشاهد التي تدمي القلب وهي تصور ما يجري من مآسٍ وفواجع ،فالتغيير الربيعي الاصلاحي طال كل شيء من هدم المساجد، ونسف المنازل ،واعادة الزمن الى الوراء ،فلا ماء ولا مصادر للطاقة ،ولا طرق صالحة للسير.ورغم كل ذلك لم يسلم السائرون الفارون على أرواحهم ،فاصبحوا هدفا للقتل، فالرحمة مفقودة في ظل اختلاط الاوراق وتعقد المشهد. الى أن الموت لم يعد يخيف الطفل أو الكبير ،فالهدف هو الفرار حتى وإن لم يكن هناك جهة معلومة لكن لابد من الفرار في أرض تحولت الى وحش مخالبه تطال الجميع .

وكي لا أطيل في حشد النصوص التي صورت الموت والخراب والنزوح – وهي كثيرة – أكتفي بايراد نصين أحدهما : يتحدث عن مأساة سيخلدها التاريخ الا وهي قضية العبور من على جسر " بزيبز " الذي أصبح جسرا للحياة لمن انقطعت بهم السبل،فمن فاز بالوصول اليه انمحت من ذهنه وجسده مخاطر رحلة التشبث بالحياة وأهوالها ،فان تمكن من عبوره كتب له عمرا جديدا. يقول عبد الرزاق الربيعي في قصيدته على جسر بزيبز():

فتحتِ السماءُ ذراعيها للتيه
فسقطت الجنّةُ

من عروةٍ

في قميص الأحد الحزين()

وخطوةً..خطوةً

عبرتْ البلاد للمرّة الألف
جسر الآلام

ثم يقول():

على جسر "بزيبز"()

هبطتْ دموعٌ عزيزةٌ

تحت الأقدامِ

من جراحات الأيّام

فبدتْ "أرض السواد" أكثر حمرة

لا يخفى أن الشعر صور لنا مأساة الحروب ابلغ تصوير ، وكل ذلك تأتى من علاقة منتج النص بالمجتمع ، وهذه العلاقة جذورها قديمة وجدت قبل ولادة علم الاجتماع نفسه ().

أما النص الثاني فأخرته ليكون خاتمة الشواهد .لأنه لسان حال كل من ترك منزله باحثا عن الحياة له ولعائلته .يقول نادر شاليش():

أرسلت روحي الى داري تطوف بها ... لما خطانا اليها ما لها سبلُ

أن تسأل الدار ان كانت تذكرنا ... أم أنها نسيت إذ أهلها رحلوا

أن تسأل السقف هل ما زال منتصبا ... فوق الجدار شموخا رغم ما فعلوا

أم أنها ركعت للأرض ساجدة ... تشكو الى الله في حزن و تبتهلُ

أن تسأل النخل هل أكمامه نضجت ... أن تسأل التين و الزيتون متصلُ

أما القطوف من الأعناق دانية ... مثل اللآلئ كالحوراء تكتحلُ

أم شجرة التوت و الاغصان فارعة ... ناءت بحمل و قد طاب بها الأُكلُ

هيهات يا دار أن تصفو الحياة بنا ... و يرجع الجمع بعد النأي مكتملُ

لكن روحي ستبقى فيها ساكنة ... ما لي بأطعمة لا شاة و لا جملُ

إن مت يا دار أو طال الفراق بنا ... فالصبر يا دار لا يطرف لنا أملُ

لا بـد لليـل مـن صـبح يبدلـه و يصـنع النـور و الظلمـاء ترتحـلُ

و يـرجع الحـق فـوق الكـون عاليـة راياتـه البيـض لا كفـر و لا دجـلُ

علائـم الصـبح قـد لاحـت مبشـرة لم يبق في الساح لا عزى و لا هبلُ

فـأول النصـر بالأوثـان نكسـرها فعـل الخليـل و فعـل المصـطفى مثـل

ها هي فصول السنة تتحول من تقلبات جوية جميلة . من ذكريات نحملها منذ نعومة اظافرنا . الى وحوش أربعة .ربيع فاحت منه رائحة الدم ، وشتاء أصابنا بالبرد و العدم ، وصيف أحرقنا في الخيم ، وخريف سقطنا كأوراقه موتا وألم .

بعد ان ذرفنا الدموع على ما سطرته اقلام الشعراء من موت ومعاناة وألم اعود لكي أجيب على سؤالي الذي طرحته في بداية حديثي عن العصر الحديث ، وأعيده مرة أخرى :

الا يحق لي أن اتساءل يا أمة العرب : لم كل هذا قد حل بكم ؟

لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى توقف العرب عن مواكبة التطور ، بل والتقهقر ، وتحليق الغرب بعيدا نحو مستقبل يعج بالتطور يمكن رده الى جملة من الأمراض التي جثت بثقلها على صدر المواطن العربي وأهمها:

- اليأس المستشري عند العرب ،والذي يجد في مجتمعاتنا بيئة خصبة لديمومته وبقائه .
- موت الصدق واختفاؤه من تعاملاتنا ، وحياتنا اليومية .وأخذ ينخر في كل جوانب المجتمع والسياسة .
- الحب المبالغ فيه للعداوة والفتن ، والانشغال بالصراعات الداخلية ، وتسخير كل العوامل التي تشجع عليها . الأمر الذي خلف جيشا من الارامل والايتام ومدنا خربة اختفت منها وسائل الراحة والخدمات.
- انتشار البغض والحسد ، وظهور الاستبداد ، واستسياده على الموقف.
- العزوف عن منفعة العامة ، والاهتمام المخيف بالمنفعة الشخصية وجمع ثروات هائلة ،وعقارات في أجمل قارات العالم.

ويضاف الى ما ذكرناه اسباب أخرى فرعية تختلف من بلد عربي الى آخر.

ولعل خلاصنا يكمن في استئصال هذه الأمراض اذا ما ارادت شعوبنا أن تضع قدمها على بداية مستقبل جديد .فضلا عن ذلك يجب مراعاة الآتي:

المغادرة الفورية للتقليد الأعمى (الببغائي)الذي يمارسه شبابنا لحضارة الغرب .فلم نأخذ منهم سوى قصات الشعر المضحكة ،وارتداء الملابس الممزقة. وظهور علاقات محرمة. والقضاء على ذلك ليس بالأمر الصعب اذا تعاون الجميع من منع استيرادها الى محاسبة اولياء الامور والمعلم والاستاذ الجامعي لمن يرتديها ...الخ وتوعية الشباب بحتمية ترك العلاقات غير المشروعة التي تخالف مبادىء ديننا الحنيف ،وما تجره من أمراض نفسية أو جسدية ().

وقبل أن استمر في استئصال مرض آخر أقول: كثيرا ما يتناقش العرب في أسباب رقي الغرب ، ويتفقون على مسألة مهمة وهي : إخلاصهم في العمل ، واحترامهم الكبير للوقت . واعود لأقول: إذا كنا نتفق على ذلك فلماذا لا نطبق هذا؟ .فالكثير من عمالنا وموظفينا لا تربطه بعمله سوى المنفعة المادية ، فهو ينتظر نهاية الشهر لاستلام المرتب ،واضعا جملة من المبررات الخاطئة، ومنها :عدم كفاية المرتب ، وان العمل الذي يشغله لا يتوافق مع شهادته ، ....الخ . فنجده يأتي متأخرا مبررا ذلك بزحمة المرور التي تؤخره عن حضوره لمقر عمله في الوقت المحدد مدافعا عن تأخره بجملة من المبررات الواهية ، ونجده ايضا يتسرب من دوامه ، فكيف يتطور المجتمع اذا كان فيه من أمثال هؤلاء؟ وهم للأسف يشكلون اعدادا كبيرة في واقعنا الراهن.

فاذا اردنا التغيير والبحث عن ربيع مشرق حقيقي . ينبغي ان نقتنع بقدراتنا، ونقوي ثقتنا بأنفسنا أولا، ونكون على يقين بأننا نستطيع التغيير اذا بدأ كل شخص منا بنفسه أولا ،وبعد ذلك نطلب التغيير من الآخرين ابتداء من عامل النظافة والمعلم والطبيب والقاضي وعالم الدين...الخ انتهاء بأرباب السلطة.

أما اذا بقينا على ما نحن عليه فما الفارق بيننا وبين العصر الجاهلي ؟ ولا ابالغ اذا قلت بأن العصر الجاهلي تفوق على عصرنا في كثرة الداعين للسلم، ونبذ الخلافات، واحترام الجار،والتحلي بأخلاق كريمة ،وتقاليد إجتماعية لا يمكن التطاول عليها من أي شخص ، وتحت أي مسمى .

الخاتمة والاستنتاجات

- تبين ان جُل الحروب الجاهلية وقعت بين قبائل العرب ، بل استعر أوارها بين الأقارب أيضا.
- تميز العصر الجاهلي عن عصرنا الراهن بالحكمة إزاء الحروب ، وعدم الانجرار لها الا اذا استنفدت كل الحلول .
- بيَّن الحكماء والشعراء والفرسان الجاهليون اضرار الحرب ، وما تجره من ويلات لا يحمد عقباها. والتزموا جانب السلم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

- وصف شعراء الجاهلية الحرب بأوصاف ذميمة تبين مدى بشاعة الحرب وما تخلفه من ويلات .
- لا خلاف بين عصرنا الراهن والعصر الجاهلي من أن كل الحروب الا ما ندر لا تقع بين بلد وآخر أعجمي وإنما بين ابناء الوطن الواحد ، وتحت مسميات متنوعة إلا أن المستفيد منها هم من يضمرون العداء للعرب والاسلام ، والغريب في ذلك أن أدوات تخريب بلاد العرب تكون عن طريق ابنائها .وهذا يؤدي الى بقاء بلداننا بحاجة مستمرة لمن يضمر لهم العداء.
- نعيش في زمن حرية التعبير الا أن ذلك مجرد شعارات زائفة، فالشاعر الجاهلي لديه من الحرية حيز أوسع من نظيره في عصرنا، فمن نقد مسؤولا هدر دمه.
- لم نجد أيَّ تغيير يذكر فقد عاث الربيع بالبلدان التي مرَّ بها ، فشرد الناس ، فضلا عن القتل وخراب المنازل .
- غياب الرحمة في ظل نزوح لا يفرق بين براءة الطفولة ، ولا بين وقار الكبار ، وأحلام الشباب .
- أبدع الشعراء في تصوير مآسي الشتاء والصيف التي خلفها الربيع ،فكانت مشاهد مؤلمة لأطفال قضوا جوعا وبردا ومرضا .وكبار سن أهينت كرامتهم ، وأحلام ذبحت كقربان لديمومة استمرار الربيع.
- الكل يطالب بالتغيير ، وهو متقاعس عن عمله ، ويتسرب منه ، ويطلب التطور والتقدم والرفاهية من غيره.

وأخيرا اذا كان الجاهلي يقاتل مرغما بعد أن تغلق بوجهه كل دعوات السلم ، ما الذي يدفع الانسان في عصرنا الراهن بعد كل هذه الحضارة والثقافة والتطور الهائل في كل المجالات الى القتال ؟ بدل تحكيم العقل والافادة من ثقافته .فالعصر الجاهلي تبين أنه عصر العقل والسلم ،ولولا قساوة البيئة التي تجبرهم على الغزو للبقاء على قيد الحياة وتقاليدهم التي تميل الى التعصب القبلي لقلت أخبار الحروب التي وصلتنا عنهم. ووجدنا أن عصرنا عصر الحروب والدمار والرغبة العجيبة بترويع الناس وتشريدهم وقتلهم.

وآخر دعوانا - أن يرحمنا الله – أن الحمد لله ربِّ العالمين.

أولا:المصادر والمراجع:

- **أُحدثُ الليل،د.محمد بن عبد الرحمن المقرن،دار الميمان للنشر والتوزيع،الرياض،2014م**
- **الأعمال السياسية الكاملة،نزار قباني،منشورات نزار قباني،بيروت،ط2،1999م**

- **أيام العرب في الجاهلية ، محمد جاد المولى وصاحباه ، دار إحياء التراث العربي،بيروت ،1961م.**
- **الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسين البصري،تحقيق،مختار الدين أحمد،عالم الكتب،ط 3،1983م**
- **ديوان الاعشى الكبير،ميمون بن قيس،شرحه وقدم له ،مهدي محمد ناصر الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،1987م.**
- **ديوان امرىء القيس،تحقيق،محمد ابو الفضل ابراهيم،ط4،دار المعارف ، مصر،1984.**
- **ديوان ايليا أبو ماضي،دار العودة، بيروت،(د.ت).**
- **ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق،د.عزة حسن،دار الشرق العربي،بيروت،1995م.**
- **ديوان الحماسة،أبو تمام حبيب بن أوس الطائي،تحقيق،د.عبد المنعم أحمد صالح ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،1987م.**
- **ديوان دريد بن الصمة، تحقيق،د. عمر عبد الرسول،دار المعارف،مصر، 1985م.**
- **ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له ، مهدي محمد ناصر الدين، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت،2002م.**
- **ديوان عامر بن الطفيل،تحقيق،د،هدى جنهويتشي،مؤسسة الرسالة،بيروت،1997م.**
- **ديوان عبيد بن الأبرص،تحقيق،تشارلز لايل،ترجمة،د.محمد عوني عبد الرءوف،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،مصر، ط2، 2002م.**
- **ديوان عروة بن الورد ، تحقيق،عبد المعين الملوحي ، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ،1966م.**
- **ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه،د.أميل بديع يعقوب،دار الكتاب العربي،بيروت،1991م.**
- **ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق، د.ابراهيم السامرائي،وأحمد مطلوب ،مطبعة العاني ، بغداد،1962م.**
- **ديوان قيس بن الخطيم،تحقيق د.ناصر الدين الأسد،دار صادر،بيروت،1967م.**

- **ديوان ابي قيس صيفي بن الأسلت،دراسة وجمع وتحفيف،د.حسن محمد باجوده،دار التراث ، القاهرة،1391هـ.**
- **ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني، تحقيق، خليل ابراهيم العطية، مطبعة أسعد ، بغداد،1962م.**
- **ديوان النابغة، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط2، دار المعارف ، مصر ،(د.ت): 245 .**
- **ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح ،محمد الطاهر ابن عاشور، مصنع الكتاب ، تونس ، 1976م.**
- **شرح ديوان المهلهل ،شرح وتحقيق، محمد علي أسعد ،دار الفكر العربي ، بيروت ،2000م.**
- **شرح شعر زهير بن ابي سُلمى ، صنعة ، ابي العباس ثعلب ، تحقيق ، د. فخر الدين قباوة. دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م .**
- **شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه، مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط 1985،2م.**
- **صيقل الاسلام،بديع الزمان سعيد النورسي،ترجمة ،احسان قاسم الصالحي، ط3 ، دار الطياعة والنشر الاسلامية، مصر،2002م.**
- **العقد الفريد، تأليف الفقيه، أحمد بـن محمد بن عبد ربه الاندلسي(ت 328هـ)، تحقيق، تحقيق، محمد سعيد العريان، دار الفكر ، بيروت ،1940م**
- **علم اجتماع الأدب ، محمد سعيد ، دار المسيرة للتوزيع والطباعة ، الاردن ،2009م.**
- **في نظرية الأدب، شكري عزيز ماضي، دار الفاس للنشر والتوزيع، عمان، 2005**
- **في النقد الأدبي ، ايليا الحاوي ،دار الكتاب ، بيروت ، 1979م.**
- **كتاب شعراء النصرانية في الجاهلية ،جمعه،الأب لويس شيخو،مكتبة الآداب،القاهرة،1982م.**
- **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م.**

- **المفضليات،المفضل بن محمد بن يعلي الضبي،تحقيق وشرح،أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون، ط7،دار المعارف ، مصر،1964م.**
- **مناهج البحث الأدبي ، يوسف خليف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2004م.**
- **مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ميريت للنشر والمعلومات ، مصر ، 2002م.**
- **نظرية الأدب ،رينيه ويليك، ترجمة ، محي الدين صبحي ،المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ، 1948م.**

النقد الأدبي الحديث ـ أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة ـ رؤية إسلامية، سعد أبو الرضا، 1425هـ.

- **النقد الأدبي الحديث . قضاياه ومناهجه ، صالح هويدي ، منشورات السابع من أبريل ، 1426 هـ .**

ثانيا: الصحف والمواقع الالكترونية:

- **جريدة الصباح ،WWW.alsabaah.iq ،31/5/2015،عبد الرزاق الربيعي، قصيدة : على جسر بزيبز.**
- **جريدة المدى، العراق،ع/3960،3/7/2017. على الوردي ومنهجه من الفلسفة الى علم الاجتماع،د.حسين الهنداوي.**
- **صحيفة المواطن السعودية.Almwaten.net، 15/12/2013.عمرين محمد عريشي،قصيدة "مات الصغير"**
- **قناة عشتار الفضائية.WWW.ishtartv.com . يوسف كبو قصيدة بعنوان"برطلة ضوء يتأوه بالحزن.**
- **منتديات شبكة الإقلاع.WWW.VB.EQLA3.com قصيدة"أتدري كيف قابلني الشتاء".**
- **http//WWW.com.Edlib.Network . نادر شاليس.قصيدة "أرسلت روحي"**